


## حاضرة بوسمغون من خلال الدراسات الانثروبولوجية والتاريخية

### The city of Bou Semghoun through anthropological and historical studies

عبد الحميد برقية\*  مخبر دراسات في التاريخ والثقافة والمجتمع، جامعة باتنة 1،

Abdelhamid.berreguia@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2025/12/31

تاريخ القبول: 2025/12/03

تاريخ الإرسال: 2025/11/05

ملخص:

تُعدّ منطقة بوسمغون الواقعة في الجنوب الغربي من الجزائر إحدى المناطق التي حافظت على هويتها الأمازيغية عبر القرون، ويرجع أصل سكانها إلى القبائل الزناتية الأمازيغية، ومؤسسها الأول الولي الصالح أبو سَمغون، وتشير المصادر إلى أنّ أوائل المهاجرين إليها جاؤوا من منطقة تلمسان نحو الجنوب في القرن الحادي عشر ميلادي، نتيجةً للحروب التي كانت دائرة في ذلك الوقت.

استقرّ هؤلاء المهاجرون في واحة من النخيل أنشأوها وعمّروها، وتمكّنوا من الحفاظ على لغتهم الأمازيغية وعاداتهم الأصيلة رغم تعاقب الأزمنة والعهود، ويُعدّ قصر بوسمغون تحفةً معماريةً فريدة، بما يميّز به من منازل تقليدية ومسجد عريق وبوابات حصينة ضد أيّ اختراق أجنبي، كما حافظت المنطقة على تراثها الشفوي الغني، الذي تناقلته الأجيال عبر القصص الشعبية، وقد وثّقت بعض الدراسات الفرنسية جانبًا مهمًا من هذا الموروث الثقافي، وفي الأخير يمكننا القول بان المجتمع البوسمغوني يُجسّد بحقّ صمود الهوية الأمازيغية واستمراريتها جيلاً بعد جيل.

الكلمات المفتاحية: بوسمغون، القصر، اللغة، التراث، الهوية.

**Abstract:**

The region of Bou Smgoun, located in southwestern Algeria, is one of the regions that has preserved its Amazigh identity over the centuries. It was founded by the saint Abu Samgoun, and its inhabitants belong to the Zenati Amazigh ethnic group. Sources indicate that the first migrants to the region came from the Tlemcen region to the south in the 11<sup>th</sup> century AD as a result of the wars that were raging at the time.

These migrants settled in a palm oasis that they established and cultivated, and they managed to preserve their Amazigh language and authentic customs despite the succession of eras and eras. The palace of Bou Semghoun is a unique architectural masterpiece, with its traditional houses, ancient mosque and gates fortified against any foreign intrusion. The region has also preserved its rich oral heritage, which has been passed down through generations via folk tales. Some French studies have documented an important aspect of this cultural heritage. Ultimately, we can say that the Bou Semghoun community truly embodies the resilience and continuity of Amazigh identity from generation to generation.

**Keywords:** Bou semghoun, palace, language, heritage, identity.

**1. مقدمة**

تعد منطقة بوسمغون من الحواضر الصحراوية الواقعة في نطاق الاطلس الصحراوي، حيث تتميز بواحة نخيل ومياه جوفية استُغلت منذ قرون في الزراعة والرعي، هذا الموقع الجغرافي جعلها ملتقى ومنطقة عبور القوافل التجارية وترحالا للقبائل في كل الاتجاهات، الأمر الذي ساهم في تنوعها الثقافي واللغوي، فالمنطقة ذُكرت في المصادر العربية خلال العصر الحديث كمركز حضري في الصحراء الكبرى، بمعنى «حاضرة بوسمغون» إذ استقطبت اهتماماً في الوثائق والمصادر المحلية، و المصادر الاجنبية خاصة الفرنسية منها، كما تعد ايضاً مركزاً مهماً للطرق الصوفية بما تحويه من اضرحة للأولياء الصالحين وخاصة شيوخ الطريقة التيجانية، وبناء على ما تقدم ذكره يمكن صياغة الاشكالية الرئيسية لهذا البحث كالآتي :

كيف ساهم الموقع الجغرافي والامتداد التاريخي لبوسمغون في تشكيل هويتها الثقافية، وجعلها حاضرة صحراوية تجمع بين الموروث الأمازيغي-العربي ؟ للإجابة عن هذه الاشكالية اعتمدنا في دراستنا دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي الذي يكشف لنا ممارسات الحياة اليومية للسكان من خلال عدة مجالات، والتي تمت دراستها في فترة زمنية معينة، الى جانب وصف بعض المظاهر المعيشية في الحياة العادية لسكان حاضرة بوسمغون

## 2.الموقع

تقع منطقة بوسمغون في جنوب مدينة وهران، على بُعد 140 كيلومتراً من جيريڤيل (Géryville) البيض حالياً، وحوالي ستين كيلومتراً من مدينة المشرية (Mécheria) وعين الصفراء (Ain Sefra)، وشُيّد قصر المدينة على تلة بين جبل تنوت (Djebel Tanout) وجبل تامدة (Djebel Tamedda) بطابع معماري صحراوي، ويتكوّن من مجموعة متجانسة من المنازل ذات السطوح المستوية، والشرفات (verandas)، والمساحات الداخلية. (M.Geay, 1937, p. 42)، ويبعد حوالي 20 كيلومتراً من شلالة الظهرانية.

## 3.اصل التسمية

يطلق اسم بوسمغون نسبة لمؤسسه بن الشريف بوسمغون، الذي ينحدر من اصول امازيغية، وفي افريقيا عامة وعند العرب يضل ذكر المؤسسين لدى السكان مع تعاقب الأجيال، فيخلّدون أثرهم ويكرمون ذكراهم بإطلاق أسمائهم على الأعمال التي أنجزوها، وغالبًا على المناطق المحيطة بها (Kiva, 1889, p. 49)

ويقول الطبيب ليكلرك عن مؤسس بوسمغون لقد أخذت البلاد اسمها من أوّل من استوطنها، وهو الولي الصالح أبو سمغون. وعندما تُوفي هذا الرجل الصالح، دُفن في نفس المكان واطلق لقبه على المنطقة (65) (Leclerc, 1857, p. 65)

## 4.اصل سكان بوسمغون

يبلغ عدد سكان بوسمغون حاليًا 1,062 نسمة (سنة 1937) حسب رواية المؤلف)، وهم من البربر الزناتين الخالص، المنحدرون من منطقة تلمسان والذين تم دفعهم نحو الجنوب مع بقية شعبيهم، على يد البربر الكتاميين والصنهاجيين والعرب في القرن الحادي عشر، فبعض المؤرخين يرون بني سمغون ساهموا أولاً في تأسيس مدينة فكيك (Fegig) الواقعة على الحدود المغربية، غير أن السمغنيين أنفسهم يدعون على العكس من ذلك، بإقرارهم أنهم استقروا مباشرة في هذه البلاد وأنهم هم الذين أنشؤوا واحة النخيل فيها، وهذه الفرضية الأخيرة في نظرنا أكثر معقولة. (M.Geay, 1937, p. 43)

كان مؤسسو مدينة بوسمغون جماعة صغيرة لا شأن لها، فهم فقراء لا يملكون شيئاً، ولا حتى قطعان الماشية التي كانت أساس المعيشة آنذاك، فصاروا سكان قصور ومزارعين بحكم الضرورة لا الاختيار.

اعتنق هؤلاء الإسلام، لكنهم لم يتعرّبوا لغويًا أو ثقافيًا، وظلوا بمنأى عن طرق الغزو ومسالك القوافل، بعيدين عن المراعي الكبرى ومناطق الصراع، فعاشوا منعزلين ولكن في طمأنينة وسلام، وقد كان توزيع اراضيهم الزراعية على شكل حصص صغيرة من أهم أسباب استقرارهم الاجتماعي، إذ لا يكاد يوجد في بوسمغون من لا يملك قطعة أرض حتى وان كانت صغيرة الحجم، هذا التوزيع العادل حال بينهم وبين الفقر المدقع كما حال دون تراكم الثروة في أيدي القلة، وبحكم هذا الوضع، ظلّوا مُلأگًا صغارًا يعملون بأيديهم في فلاحتهم، فحافظوا بذلك على نقائهم العرقي واستقلالهم الإنساني عبر القرون. (M.Geay, 1937, p. 43) وهكذا نشأت هذه الجماعة الامازيغية الصغيرة بطابع مميز، تحميها لغتها الخاصة، وأرضها، واقتصادها المستقل، إضافةً إلى أخلاقها الصارمة التي تميل إلى حياة الزهد، وهي خصال أتاحها لها سعة عيشها واستقرارها، غير أن الاحتلال الفرنسي غير بصورة عميقة ظروف الحياة في بوسمغون، فقد أخضع سكان القصر لسلطة قايد معين من قبل الإدارة، وتراجعت مكانة الجماعة التي كانت تتولى من قبل تسيير شؤون العامة وحدها. (M.Geay, 1937, p. 43)

ولكن التغييرات التي أحدثها الاستعمار الفرنسي تمثّلت في تحوّل ذهنية السكان الأصليين فيفضل الهجرات المتكرّرة، وبسبب التأثير غير المباشر للسلطات الاستعمارية، ونتيجة لذلك التغير تعرّب أهالي بوسمغون واصبحوا مع مرور الوقت يميلون الى التحدث باللغة العربية. (M.Geay, 1937, p. 44) وبالنسبة للأعمال التي يقوم بها السكان ويبرعون فيها صناعة القار(القطران)، وخياطة السجاد، والأقمشة الصوفية التي تشتهر بجودتها، ولكن هؤلاء السكان دائما ما يواجهون تهديداً مستمرًا لمحاصيلهم، جراء زحف الرمال التي تجتاح حدائقهم، والتي تحول مساحات شاسعة من الأراضي إلى أراضي قاحلة. (Leclerc, 1857, p. 68)

كما أنّ هذه الجماعة أكثر اجتهادًا ونشاطًا، ويبدو أنّ عزلتها قد طبعت أهلها بمسحة من الفخر والصلابة، لكنها دفعتهم في الوقت ذاته إلى الاعتماد على أنفسهم والعمل بجهد، وهذا ما لاحظناه منذ وصولنا، حتى انا جنود حملتنا اسعدهم الترحيب الذي لاقيناه من طرف سكان القصر؛ إذ كان الأهالي يقدون علينا بكثرة حاملين معهم البصل والرمان والتمر واللفت والجزر واليقطين وغيرها من خيرات الأرض. (Leclerc, 1857, p. 69)

### 5. قبائل بوسمغون

ينقسم قصر بوسمغون إلى حيين رئيسين: أحدهما يُدعى آيت محمد أموسى، والفرع الآخر "آيت المسعود": تتكوّن هذه الجماعة من رجلين: أحدهما يُدعى محمد، والأخر شقيقه مسعود، انفصلا

عن بعضهما، فأسس الأول قبيلة محمد أو موسى، بينما أسس شقيقه مسعود ما يُعرف بـ"آيت مسعود"، بالإضافة إلى ذلك هناك قبيلة "آيت عثمان"، وقبيلة "آيت بودو": هذه القبائل الأربع (الموحدة) تُعرف باسم "آيت سليمان".

أما أهل "زگن" و"آيت تبون"، فقد جاؤوا من "توات ن تبون": ويتكوّنون من قبيلة "آيت ناسي"، وقبيلة أخرى هي "آيت أكو"، وأخرى تُدعى "آيت علي"، وأما أولاد عيسى إخوة "آيت تبون" فقد فنيوا جميعهم.

فهذه هي الفروع الأربع لـ"آيت تبون" في المناطق العليا. (André, 1886, pp. 76,79)

وأما بني موسى، الذين كانوا في حرب مع سكان قصر بوسمغون، قد هُزموا واضطروا إلى الهجرة قبل نحو قرن إلى أماكن أخرى.

وهذا ما تؤكده رواية للشيخ أحمد التيجاني في رحلته التي نقلها الطبيب الفرنسي ليكلرك، إذ يذكر أنه وصل الشيخ إلى بوسمغون عند عودته من مكة في 23 سبتمبر 1710، فوجد أهل بوسمغون يعيشون منذ زمن طويل في عداوة شديدة مع أقرانهم. ويضيف ليكلرك قائلاً: كان أولاد سيدي سليمان وأولاد موسى وأولاد عنقي يعلنون ملهم من الحرب فيما بينهم، وقد تمكنا في الأخير من وضع حد لهذه العداوة وإقامة الصلح بينهم. ولإضفاء مزيد من المصداقية على الصلح، عقدنا اجتماع ضمّ الفقهاء والاعيان، وصيغت معاهدة احتفظت كل قبيلة بنسخة منها، ثم تعانق الزعماء، وختمنا الصلح بوليمة جمعهم جميعاً. (Leclerc, 1857, p. 68)

## 6. وصف واحة بوسمغون من خلال الضباط الفرنسيين

يحدد الضباط الفرنسي كوين الذي زار المنطقة قائلاً: تمتد واحة بوسمغون على مسافة نحو أربعة كيلومترات، كيلومتر واحد منها أعلى القرية وثلاثة كيلومترات أسفلها، وجميع أجزاء الحدائق الواقعة أسفل الواحة محاطة بأسوار محصنة. (Coyne, 1889, p. 50)

وأما الضباط الفرنسي كيفا فيضيف هو الآخر على وصف زميله السابق وصفا مفصلاً للواحة قائلاً: وتُغطي البساتين المليئة بأشجار النخيل ضفتي وادي بوسمغون، الذي يصب في أوزيدن، ضمن مجرى الوادي الكبير ثمار هذه النخيل تنضج، لكن التمور التي تنتجها ذات طعم غير مستساغ (Kiva, 1889, p. 50)

وتنبثق عيون أولاد علي في جوف الوادي، ويحيط بالبساتين جدار معزز بأبراج حصينة، تستمد المياه من نواعير- عجلات خشبية ضخمة مزودة بصناديق أو دلاء لحمل الماء - تفوص إلى عمق ثلاثة أمتار، إلى جانب مئة بئر موزعة في الأرجاء، وفي وسط القصر بئران، ويضم القصر دارًا ترجع إلى شيخ الطريقة التيجانية، وهي بحال جيدة من الحفظ، غير أنها قد اتخذتها الحمام مأوى لها. (Kiva, 1889, p. 52)

وعند النظر إلى مجرى الهر تظهر في أفق السماء قبة قصر نُخَيْلَة المهجور (المجموعة الصغيرة من النخيل)، وإلى الجنوب يمتد جبل تَمَدًا، وإلى الغرب جبل تَنْوَت، الذي يحتوي على رواسب ملحية، فهذه المادة تصبح أكثر ندرة كلما اقتربنا من الصحراء، حيث يصل سعرها إلى ما يعادل الذهب، وأحياناً يفوقه.

وإلى الغرب من جبل تَنْوَت توجد بحيرة مالحة، يرتادها السكان المحليون بسبب الينابيع التي توفر مياهاً ساخنة يستحمون فيها لعلاج الآلام والشلل، ووفقاً للمعلومات التي قدمها لي السكان، تكسو الخضرة ضفاف هذه البحيرة، وتزخر بالصيد الوفير، كما توجد فيها آبار مياه عذبة. تصب مياه هذه البحيرة، المسماة "الوركة"، عبر "فُوم الملح" (فم الملح)، وتتدفق في وادي بوسمغون قبل وصوله إلى نُخَيْلَة (Kiva, 1889, p. 52).

وإما الجبال المجاورة فهي تتميز بتنوع ألوان صخورها، وتكسوها غابات من أشجار العرعار، وفي الجهة المقابلة، نحو الجنوب الغربي، يمتد جبل تَنْوَت، الذي تنتهي قِمَمُه بخطوط مستقيمة، وتقع هذه المنطقة بالفعل على ارتفاع كبير، حيث تنتشر أشجار الزيتون البري في الأودية التي تشق الأرض عند سفوح الجبال. (Coyne, 1889, p. 49)

## 7. وصف القصر

يضم القصر نحو مائة منزل، محاط بصور مبني من الطوب (الطين المضغوط)، وتُفتح فيه ثلاث بوابات: باب القبلي (Bab el Guebil)، باب الفرطاس (Bab el Fortas)، وباب النواصي (Bab en Nouaçi)، وأما من داخله فيوجد مسجد وبئر يُعَدُّ الوحيد في القرية. أمّا الماء الرئيس للسكان، فيأتي من عين سيدي الشيخ، وهي نبع غزير يقع خارج أسوار القصر، ويؤمن حاجات الأهالي اليومية، وأما السلطة القضائية، فقد أُسندت إلى قاضي محلي (قاضي القصر) يُدعى سيدي أحمد بن عاشور. (Daumas, 1845, pp. 245–246)

كما توجد أربعة قبب لمراقد ومزارات واضرحة لأولياء المنطقة (marabout) أُقيمت في المكان الذي اقام فيه الولي سيدي أحمد التيجاني قبل نحو قرن، خلال رحلته من عين ماضي إلى فاس (Coyne, 1889, p. 50)، أبرزها القبة المشيدة تكريماً للولي سيدي أحمد التجاني، مرابط عين ماضي. وتعتبر هذه القبة أكبر وأفخم من ضريح سيدي الشيخ الكائن بالببيض. (Piesse, 1862, p. 324) وتحظى بمكانة كبيرة في المنطقة، وهي كالاتي: ضريح سيدي عبد القادر الجليلي، وسيدي بوحفص الحاج، وسيدي بوسمغون، وسيدي أحمد التجاني، وفي قصر بوسمغون ينتخب الشيخ من طرف السكان، وبالنسبة لشيخ بوسمغون اليوم فهوزيان بن معمر (1845 حسب رواية المؤلف) (Daumas, 1845, p. 247)

ويضم قصر بوسمغون نحو مئة منزل ومسجدًا جميلًا وسط القصر والذي تم ذكره سابقا، وقد شُيّد بإتقان، وتعلوه مئذنة مربعة تنتهي بقمة صغيرة مدبّبة، ويُلاحظ في جميع المباني العامة هناك تأثيرا وتشابه كثيرا بينها وبين مباني منطقة فجيغ (fgig) المشهورة بمهارة بنائها، ويحتوي على بئر غزير المياه يستخدم للوضوء، وفي مجرى النهر نفسه، الذي يبلغ عرضه نحو 300 متر، تنتشر حدائق عديدة مزروعة بعناية، تضم حوالي 10,000 نخلة، تُروى هذه الحدائق في الشتاء بمياه النهر، التي يتم تنظيمها بواسطة سد شيده سكان المنطقة؛ أما في بقية العام فتسقى بمياه نبع يُعرف بـ"عين سيدي الشيخ"، يقع على بعد كيلومتر واحد أعلى القصر، وعلى الضفة اليمنى تُنقل مياه هذا النبع إلى الضفة اليسرى عبر قناة مائية (Coyne, 1889, p. 50). ويذكر الكابيتان جوندر (F.Gendre) من خلال رحلته التي قادته إلى بوسمغون قائلا: يُعد قصر بوسمغون الذي تأسس في القرن الثامن الميلادي، أحد المعالم التاريخية المأهولة بسكان من أصول أمازيغية حتى يومنا هذا، يتميز القصر بأهميته النسبية، حيث تتركز مبانيه حول مسجد ذي مئذنة مربعة، وتتميز بعض شوارعه بأسقف مقوسة تضيء طابعا معماريًا فريدًا. (Gendre.F, 1910, p. 532) ويحيط بالقصر ثلاث بوابات على شكل قوس مدبب على الطراز المغربي (الساغازيني (sarrazine): اثنتان في الجهة الغربية وواحدة في الجهة الشرقية، ويتم الوصول إلى البوابة الشرقية عبر جسر مصنوع من خشب النخيل، يمتد فوق الخندق الذي يحيط بالمنطقة المأهولة من الواحة، وتُبنى منازل القصور عادةً من الطوب المجفف تحت أشعة الشمس، باستثناء منازل الأثرياء التي تُشَيّد من الحجارة، وتتكون هذه المنازل في الغالب من طابق أرضي، مع وجود عدد قليل منها بطابق علوي (Cherbonneau, 1880, p. 234)

وهناك نافذة مزدوجة على شكل زهرة كبيرة ذات أعمدة طويلة، محفورة داخل إطار مربع مع زخرفة شريطية عرضية يبلغ طولها نصف متر، مقسمة إلى مربعات بارزة تشبه صليب القديس أندري (Saint-André)، مما دفع بعض الزوار إلى اعتبارها موروث معماري مسيحي الأصل. (Piesse, 1862, p. 325) وتُفتح جدران المنازل أيضا بنوافذ مقوسة وذات طراز وطابع مميز، وتعلو الأسطح أذرع خشبية تُستخدم لتعليق القرب التي تُبرّد فيها المياه، ويُستعمل الطابق العلوي من منازل بوسمغون للسكن بشكل دائم، باستثناء فترة الحر الشديد حيث يُهجر مؤقتاً، أما الأقفال فهي مصنوعة من الخشب بطريقة تجمع بين البراعة والابتكار، وعلى امتداد الأسوار تمتد بساتين النخيل، حيث تنمو تحتهما أشجار الفواكه وحتى الخضروات، ومع ذلك لا تتوفر الأبار في كل مكان. (Cherbonneau 1880, 235)

## 8. الطب والأمراض ووضعية المرأة عند سكان بوسمغون

ومن خلال رواية أخرى للطبيب الفرنسي روس Doc-L.M.Reuss في مؤلفه Atraver L'Algérie يقول بان قصر بوسمغون يعتبر من أكثر أماكن الصحراء قذارة، فبالرغم من شساعة شوارعه إلا ان

الفضلات بمختلف أنواعها تعم كل المكان، بما في ذلك براز السكان وحيواناتهم، والتي تترك لتتعفن في العراء تحت شمس حارقة، مما يجعل المكان موبوءاً. (Reuss, n.d., p. 224)

ويؤيده في هذا الطرح المؤرخ الفرنسي لويس بياس Louis Piesse إذ يقول هوياضا: ومن الناحية الشمالية تتفرع عن الساحة أطول شوارع القصر وأكثرها انتظاماً، غير أنه يُعدّ في الوقت نفسه الأكثر قذارة، حتى لُقّب بـ "طريق الأقدار، وتُعرف بوسمغون بكونها أكثر القصور قذارةً واعتلالاً صحياً، لكنها أيضاً من أكثرها نشاطاً وحركة. (Piesse, 1862, p. 324)

ويذكر الطيبي والمؤرخ الفرنسي ليكلرك عن اقامته في بوسمغون والتي امتدت لما يقارب الأسبوعين، وأسفرت تلك الإقامة الى إقامة علاقات مع سكان القصر (Leclerc, 1857, p. 69) قائلاً: إنّ الوضع الصحي لسكان بوسمغون كان من أسوأ ما رأيناه في جميع القصور التي زرتها، فأمرض العيون (الرمد) منتشرة هناك أكثر من أي مكان آخر، وغالبًا ما تكون مصحوبة بعواقب أكثر خطورة. وإلى جانب قلة النظافة، تعود الأسباب على الأرجح إلى اتساع الوادي واتجاهه الذي يجعله عرضة للرياح الجنوبية المحمّلة بالحرارة والغبار (Leclerc, 1857, p. 70).

ويضيف: لقد عالجتُ عدة حالات من الحثّى، وأتذكر جيداً عبارات الشكر التي قدّمها لي أحد الأطفال بعدما أثبتت كبريتات الكينين فعاليتها منذ الجرعة الأولى، وأيضا حالة أخرى أصيب فيها ابن قائد بوسمغون، والبالغ من العمر أربع سنوات، بحروق بعدما سقط في النار، فخلّفت له ندوبًا مشوهة وانكماشاً جلدياً حالت دون بسط ذراعه بشكل طبيعي، كما انقلب إبهامه إلى الخلف بشكل شبه كامل، فعبرتُ عن استيائي من لامبالاة الأب، وطلبتُ منه أن يسلّمني الطفل لمدة خمسة عشر يوماً، أو أن يرسله إلى جريشيل مع أحد خدمه، إذ كانت إمكانية الشفاء لا تزال قائمة وقد وعدني القائد بذلك، لكنه لم ينفذ شيئاً. (Leclerc, 1857, p. 70)

وتظهر الإصابات في مختلف صورها، فهي غالباً تبدأ على شكل التهابات في الملتحمة أو تكون نتيجة لمرض الجدري، ثم تمتد لاحقاً لتصيب القرنية ومقلة العين، مسببةً اضطرابات متفاوتة في شدتها، ومن النادر أن يُرى شخصان كلاهما سليم البصر، أما حالات إعتام عدسة العين (المياه البيضاء) فشائعة جداً.

وتنتشر الأمراض على نطاق واسع في جميع القرى، ويبدو السكان المحليون شاحبي الوجوه، وملامحهم ذابلة، كما يوجد هناك عدد كبير من المكفوفين، وفي لحظات معدودة، أحصيت ثمانية رجال وأربع عشرة امرأة، كانوا جاثمين على طول شوارع القصر، يحتمون من أشعة الشمس، وقد أخبرت بأن جميع هؤلاء فقدوا بصرهم نتيجة إصابتهم بالتهابات ملتحمة قححية. (Kiva, 1889, p. 52)

ومن المعروف أيضاً أنه في القصور الصحراوية وعند البرير، تتمتع النساء بحرية أكبر بكثير مما هو عليه الحال عند العرب، ويُقال إنهنّ كثيراً ما ينخرطن في علاقات خلال غياب أزواجهنّ في

السفر، وقد شاهدنا حالة مماثلة لامرأة شابة فقيرة، أرملة، لم تتردد في القيام بتصرفات علنية تعبر عن رغبتها، بل وذهبت إلى حد إرسال وسيط إلى المعسكر. (Leclerc, 1857, p. 71)

وشاهد ليكرك أيضا احد الاهالي والذي كان يمتن مهنة الطب التقليدي مكتبة غريبة جزء منها في مجال الطب كانت محفوظة بالكامل داخل جلد معزة، فاطلعت على بعضها فوجدت انها تشبه الى حد كبير ما كتبه السيوطي والذي كنت احوز على نسخة منه عندي، فلما اطلعتهم علي النسخة التي عندي لم استطع ان استعيدها من بين ايديهم مما اجبرني على الانتظار كثيرا حتى استردها منهم وذلك راجع الى اهتمامهم بنسخ جميع الوصفات ذات الصلة بتنشيط القدرات الجنسية لدى الرجال (Leclerc, 1857, p. 72)

في المدن الجزائرية خلال الفترة الاستعمارية، كان من المعتاد أن يُستقبل الطبيب الفرنسي عند استدعائه من قبل الأهالي في فضاء وسيط (الدهلزي أو المدخل). حيث يُترك لبعض الوقت ريثما تُتخذ الاحتياطات اللازمة. وكان هذا الإجراء يهدف أساساً إلى إعلام العائلة بقدوم "الأجنبي"، ومن ثم تنظيم حضور النساء بحيث لا يُزين، أو على الأقل ألا يكنّ في مواجهة مباشرة مع الطبيب. بعد ذلك، يُدخل إلى غرفة يكون فيها المريض محاطاً عادةً بأشخاص من أفراد العائلة أو الجيران القادرين على المساعدة أو تقديم المعلومات الطبية (Leclerc, 1857, p. 72).

غير أن الوضع في بوسمغون كان مختلفاً بشكل لافت؛ إذ لم تُراعَ هذه الإجراءات الاجتماعية المرتبطة بالحشمة أو الحماية الرمزية للمجال العائلي. فقد كان الطبيب يدخل مباشرة إلى قلب الأسرة، ويوجد نفسه في حضور النساء والأطفال والرجال معاً دون أي وسيط أو احتجاب. هذه الممارسة تكشف عن خصوصية محلية في تمثيلات الحشمة والعلاقات الأسرية، ربما مرتبطة بالعزلة النسبية للسكان وبطابعهم الأمازيغي الغالب، حيث يبدو أن التفاعل المباشر مع الأجانب، في المجال العائلي ذاته، لم يكن موضع تحفظ بنفس الدرجة الموجودة في المراكز الحضرية. (Leclerc, 1857, p. 72)

وفي نفس الصدد دائماً يذكر المؤرخ الأنثروبولوجي الفرنسي ج. روفير عن منطقة بوسمغون والتي زارها ودون عليها ملاحظاته الأنثروبولوجية قائلاً: وخلال جولتنا الطبية، نساءنا عمّا إذا كان الطابع المميّز لبلدة بوسمغون قد أثر بطريقةٍ ما على الأساليب العلاجية المتبعة فيها، ولكنّ أبحاثنا كشفت سريعاً أنّ الأمر لم يكن كذلك، إذ لم تُظهر الممارسات الطبية المحلية أيّ خصائص تميّزها عن مثيلاتها في القرى الأخرى من المنطقة، فهنا وكما في سائر الجهات، ظلّ فنّ التداوي التقليدي حكراً على الطلبة والأولياء — من العلماء والفقهاء والمعالجين والسحرة — الذين يُعتبرون حملة الأسرار العلاجية، يجمعون بين الوصفات العشبية المعروفة أو الخفية، وبين البركة الروحية التي يُعتقد أنّها تشفي الأجساد كما الأرواح. (M.Geay, 1937, p. 44)

## 9. تراث بوسمغون باللغة الامازيغية

## 1.9. قصة لامرأة من بوسمغون – الفصت نيشت نظمطت كُبسمغون (HISTOIRE) (D'UNE-FEMME DE BOU SEMR'OUN)

جمع المؤرخ والانثروبولوجي الفرنسي روني باسي (René Basset) الكثير من القصص التراثية باللغة الأمازيغية في سنة 1883، عندما كان متواجدا في فرنده (Frenda)، والتي أملاها عليه ابن القايد السابق لبوسمغون، والذي كان معتقلاً مع والده لمشاركته في ثورة الجنوب الوهراني، وهي عبارة عن سلسلة من الروايات بلهجة القصور، التي تضم القصص المرقمة 24، 25، 26، 30، 34، 38، 39، 41، 43، 44 و54، وقد أكمل هذه المجموعة التي أملاها عليه في السنة نفسها خياطان قديما من نفس الجهة ولكن ذلك عند اقامته في تلمسان (André، 1886، صفحة 16)

فترجمها الى الفرنسية ونذكر هنا مثال على قصة امراة نصها كما يلي :

في ليلة من الليالي، كانت المرأة في بيتها حين زارتها جنية وقالت لها: «أعطيني حناء وعطورًا، وسأكون صديقتك؛ أنا على وشك أن أضع مولودي. وعندما ألد، سأرسل إليك ابني الأسود.» وعندما وضعت الجنية مولودها، أرسلت إليها ابنها على هيئة قط. دخل القط ليلاً إلى بيت المرأة، التي قالت: «هذا هو ابن الجنية.» نهضت المرأة، وغادر القط، فتبعته حتى وصلت إلى صديقتها، التي وجدتها قد أنجبت للتو طفلة سوداء. أعطت الجنية المرأة مالا، فعادت إلى بيتها. (RenéBasset, 1885, pp. 399–400)

من القصص التي أوردها باسي في مؤلفه نذكر:

قصة من قصور مدينة تيوت – انتيوت- (Description De TIOUT.) (RenéBasset, 1885, p. 391)

قصة مدينة عسلا- التعريف متاع عاسلا- (Description De 'ASLA.) (RenéBasset, 1885, p. 392)

قصة مدينة الشلالة -تعريف الشلال- (Description De CHELLALA) (RenéBasset, 1885, p. 394)

قصة مدينة الربوات-تعريف انربوات- (Description Des ARBAOUAT) (RenéBasset, 1885, p. 396)

قصة تاريخ القدوم الى فاس -يشت نلفصت تخلف كُفاس- (Histoire Arrivée A FAS) (RenéBasset, 1885, pp. 397–398)

قصة قائد وعائلته-الفصت نايجدن انور كاز- (Histoird D'UN ROI ET DE SA FAMILLE) (RenéBasset, 1885, pp. 400–401)

قصة الملك والرجل-اجليد دوركاز- (LE ROI ET L'HOMME) (RenéBasset, 1885, p. 404)

قصة بوسمغون خلال مقاومة الشيخ بوعمامة-الفصت تخلف اشرا انمدن- (BOU SEMR'OUN PENDANT L'INSURRECTION DE BOU 'AMAMA) (RenéBasset, 1885, p. 405,407)

قصة نهاية العالم- خرواس- (LA FIN DU MONDE) (RenéBasset, 1885, pp. 411–412)

قصة الغراب – اجارف- (LE CORBEAU) (RenéBasset, 1885, p. 413)

قصة سيدنا سليمان (SIDNA SOLIMAN) (RenéBasset, 1885, pp. 413–414)

قصة الخائنين الثلاث-ثلاث خيان- (LES TROIS VOLEURS)(RenéBasset, 1885, p. 416)

قصة الطالب (Histoir D'UN T'ALEB)(RenéBasset, 1885, p. 417)

قصة العصفور الجميل- ابردال- (L'OISEAU MERVEILLEUX)(RenéBasset, 1885, p. 419)

قصة الثعلب والغراب- يكاب داؤراف- (LE RENARD ET LE CORBEAU)(RenéBasset, 1885, p. 422)

قصة النمر والبقرة- اغيلاي دافوناس- (LA PANTHÈRE ET LE BOEUF)(RenéBasset, 1885, p. 424)

قصة الغزالة – تيزرزت- (LA GAZELLE)(RenéBasset, 1885, p. 425)

قصة المرأة والملك والثعبان – تمطوت داؤليلد ساد- (LA FEMME, LE ROI ET LE

(SERPENT)(RenéBasset, 1885, p. 425)

## خاتمة

من خلال تتبّع مختلف المعطيات التاريخية والأنثروبولوجية حول منطقة بوسمغون، يمكن استخلاص مجموعة من النتائج والملاحظات العلمية الهامة التي تُبرز أهمية هذه الحاضرة الصحراوية ومكانتها في التاريخ الثقافي والاجتماعي للجنوب الغربي الجزائري، وذلك كما يلي:

مثّل الموقع الجغرافي لبوسمغون، بين الأطلس الصحراوي والصحراء الكبرى، عاملاً محورياً في تكوين بنيتها السوسيو-ثقافية؛ إذ جعل منها منطقة عبورٍ واستقرارٍ في آنٍ واحد، تتقاطع فيها طرق القوافل التجارية ومسارات الترحال القبلي، مما ساعد على نشوء مجتمع متنوّع ثقافياً وعرقياً يجمع بين الأمازيغية والعروبة. كما تشير العديد المصادر الإثنوغرافية، خصوصاً كتابات M. Geay (1937) و(Leclerc (1857)، إلى أنّ سكان بوسمغون ينحدرون من قبائل زناتية أمازيغية حافظت على لغتها وثقافتها حتى القرون الحديثة، قبل أن تتأثر تدريجياً بالمدّ العربي الإسلامي ثم بالسياسات الاستعمارية الفرنسية التي أحدثت تحوّلاً لغويّاً واجتماعياً عميقاً.

وقد اعتمد سكان بوسمغون على الزراعة الواحية القائمة على نظام عدالة في توزيع الأراضي والمياه، وهو ما حافظ على توازن اجتماعي حال دون التفاوت الطبقي، هذا النظام الأهلي المتناسك مكّن القصر من البقاء مستقلاً نسبياً عن التبعية الاقتصادية للقبائل الكبرى المجاورة، كما يشكّل قصر بوسمغون نموذجاً متكاملًا للعمارة ذات الطابع الدفاعي والديني في آنٍ واحد، حيث تمتزج الوظيفة السكنية بالرمزية الصوفية، من خلال وجود الأضرحة والزوايا التيجانية، وعلى رأسها ضريح سيدي أحمد التجاني، الذي جعل من بوسمغون مركزاً روحياً للمنطقة ومزاراً صوفياً شهيراً.

إضافة إلى ما سبق تكشف النصوص الطبية الفرنسية عن جوانب دقيقة من الحياة اليومية، خصوصاً ما يتعلق بالصحة العامة، وضعية المرأة، والعلاقات الاجتماعية، حيث أظهرت بوسمغون مجتمعاً محافظاً منفتحاً في الوقت ذاته، يتميز بتفاعل فريد بين التقاليد الأمازيغية والممارسات

الإسلامية، كما تشكّل القصص الشعبية خاصة التي جمعها René Basset (1885) مصدرًا أنثروبولوجيًا بالغ الأهمية لفهم البنية الذهنية والقيم الرمزية للمجتمع البوسمغوني، فهي تحفظ ذاكرة جماعية تنقل عبر الأجيال مفاهيم عن الخير والشر، القدر والكرامة، والأنثى والروح، مما يعزز تفرّد المنطقة ثقافيًا داخل فضاء القصور الصحراوية.

### قائمة المصادر والمراجع

- Coyne. (1889). *Revue africaine: Journal des travaux de la Société historique algérienne*.
- Daumas. (1845). *Le Sahara algérien: Études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie / ouvrage rédigé sur les documents recueillis par les soins de M. le lieutenant-colonel Daumas,...*
- Kiva. (1889). *Kiva. En Algérie (souvenirs)*.
- Leclerc, L. (1816-1893). (1857). *Les Oasis de la province d'Oran, ou les Oulad Sidi Cheikh, par le Dr L. Leclerc,...*
- Piesse, L. (1815-189 ) A. du texte. (1862). *Itinéraire de l'Algérie, de Tunis et de Tanger / par Louis Piesse...*
- RenéBasset. (1885). RECUEIL DE TEXTES ET DE DOCUMENTS RELATIFS A LA PHILOGIE BERBÈRE CHAPITRE II DIALECTES DU SUD ORANAIS ET DE FIGKOIGD) DIALECTE DE BOU SEMR'OUN. *Bulletin de correspondance africaine : antiquités libyques, puniques, grecques et romaines / École supérieure des lettres d'Alger, 3*.
- Reuss, L. J. M. (Dr). (n.d.). *A travers l'Algérie / par le Dr L.-M. Reuss,...*
- André, B. (1886, Janvier). votes de lexicographie Bèrbère spécimen du dialecte des ksours Oranais. (M. G. imp, Ed.) *asiatique, VII(8)*.
- Cherbonneau. (1880). Les Ksour Dans Le Sahara. (i. G. paris, Ed.) *Revue de Géographie*.
- Gendre.F. (1910, Janvier). La Région des Ksour de Sud Oranais. (L. D. CARTHAGE, Ed.) *revue tunisienne, 79(7em)*.
- M.Geay, e. R. (1937). Coutumes chirirgicales de Bousemghoun. *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie, XV, 46*.